

ارشادات في الاعتزاف
للأباء البرية

يوسف عييب

١٩٦٩

مقدمة الطبعة الأولى

بعد أن نشرنا سير بعض آباء البرية القديسين رأينا أن نجول جولة في فردوس هؤلاء الآباء ، فلتقط من أفواه البهمن منهم درراً غالية القيمة وأحجاراً كريمة لبناء حياتنا الروحية ، فلتقط اختبارات الآباء من بطون المخطوطات القديمة نحو سر له أهميته ألا وهو سر التوبة الذي فيه أعطى الله الكاهن سلطان الحل والربط (مت ١٦ : ١٩ ، ١٨ : ١٨ ، ويو ٢٠ : ٢٣) ، وما أخرجنا إلى أن نتعرف على النواحي المختلفة لهذه الاختبارات والاسترشاد بها حيال التجارب والضيقات التي تعترض حياتنا لكي نتشجع ويتقوى رجائنا ونتذكر قول الكتاب القائل : الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظ دخورك وخرورك ، وان نلتمس دوماً قوة الله التي شقت البحر الأحمر وأغرقت فرعون وجنوده .

هكذا نتق وهكذا نؤمن أن الرب يسوع ينعم لنا بمغفرة خطايانا ويهبنا النصره هلى الشر إن ثبتنا فى التوبة الحقيقية حسب قول الكتاب . . . ارجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم وبالبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لا نيا بكم وأرجعوا الى الرب الهكم ، يوثيل ٢ : ١٢ و ١٣ ، وقوله ، أحم كل ليلة سربرى وبدموعى

الفصل الأول

الوصايا لا يمكن حفظها إلا بالتلمذة لمعلم مرشد

الراعى الصالح هو الذى يسهر على سلامة الخراف - كذلك أنت
أيها الكاهن ثبت أبناءك فى كل وقت بكلام التعليم وبحسن تدبير
سيرتك وشجعهم بالرجاء الثابت وألهمهم خوذة الايمان المستقيم
والانكال على افق وأحذهم باستعداد انجيل السلام ، واربط
احقادهم بكلام العفة ، وضع بأيديهم سيف الحرب مقابل آلام
الشموة ، أرم مخافة الدينونة المزمعة واذا غلبوا فشحهم
وأمدحهم لأن المديح ينشط الذى يغلب فيجاهد بالأكثر لكي
لا يسقط ، وان سقط أحد منهم اشفه مثل طيب يداوى ابنه
ويشفق عليه بالأكثر ولو كان قريباً من الموت ، اعط ابنك
الشفاء باستخدام الصلاة والوداعة والصبر وطول الروح والمحبة
مع الاتضاع ، الذين يخرجون من مصر (١) عن طريق البرية (٢)

(١) ترمز إلى عبودية الشيطان .

(٢) رمز الى الجهاد ضد أباطيل العالم .

أبل فراشى . مز ٦ ، وقوله وإن اعترفنا بخطايانا فهو أمين
وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويظفرنا من كل إثم ١ يو ٨ ، ٩
- وعلينا أن نصنع أثماراً تليق بالتوبة ونضاعف هذه الأثمار
كما فعل زكا العشار ، وهكذا بانسحاقنا الدائم نستطيع أن
نرضى الرب فى توبتنا أكثر مما يرضيه القديسون فى حياتهم كما
شهد تاربخ الكنيصة عن القديسة مريم النائبة انها أرضت الرب
فى توبتها أكثر مما أرضته فى حياتها الأولى .

كتبنا سير بعض آباء البرية ونقدم هنا خلاصة أثمار شبيهة
من أثمار فردوس الآباء - هى اختبارات بعض الشيوخ
الرهبان الممتازين فى المعرفة الروحية عن الاعتراف عن
خطوطات قديمة منها المخطوط رقم ٣٧٦ لاهوت (قديم)
بالمتحف القبطى الذى لحصناه ووضعنا له بعض العناوين بعد
تنقيح وتصحيح كثير ، وبعد الرجوع لكتاب بستان الرهبان
وغيره ، وليساعدنا الرب لنستفيد من هذه الاختبارات النافعة
لنصل الى ميناء الخلاص بسلام - أمين .

طبعة ثانية سنة ١٩٦٧ .

طبعة ثالثة سنة ١٩٦٩ .

قوهم بالرجاء وسر بهم حتى يبلغوا ارض الموعد وهذا
يقولون بلا ألم وبأخذون اجر أعمالهم الحياه الأبدية من مخلصنا
يسوع المسيح .

انه جهاد عظيم ونعب شديد يلقاه المتقدمون في البدايه
فشجعهم حتى يصلوا إلى الفرح الذي لا ينطق به ، وما دام
الدمترف الاشتياق الشديد والعزم الصادق للتوبه ويريد أن يتقدم
إلى المسيح فلا تغلق امامه الباب لأن السيد يريد أن جميع الناس
يخلصون وإلى معرفه الحق يقبلون ، وهو ينتظره وقد أرسله إليك
فاستقبله ببشاشه وفرح لتستحق نوال الفرح الأبدى مع الأربعة
والعشرين فسيماً المقربلين بالثياب البيض في ذلك اليوم
المخوف المملوء مجدأ .

ان وصايا السيد المسيح لا يمكن حفظها (١) بلا تلهذه وتعليم ،
ولا تعطى نعمه روح نفسه إلا لمن يحفظ وصاياها ، وقد قال السيد

(١) المقصود بحفظ الوصايا هو أن نسمع ونطيع أوامر
الرب المقدسه ونعترف بها ونسلك ونعمل بمقتضاها ، سواء
أوامره التي ترى أنها صعبه التنفيذ أو أوامره الخفيفه لأن افه
لا بأسرنا بشئ ويستحيل تنفيذه . وقد قال القديس بولس الرسول
استطيع كل شئ في المسيح يسوع الذي يقوى بي .

المسيح في انجيل يوحنا : ، ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى
وأنا اطلب من الآب فيعطيك ممزياً آخر ليسك معكم إلى
الأبد ، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه
ولا يعرفه وأما اتم فتعرفونه لأنه ماك معكم ويكون فيكم ،
يو ١٤ : ١٥ - ١٧ ، وقال أيضاً : ، والذي عنده وصاياى
وحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه أبى وأنا احبه واظهر
له ذاتى ، يو ١٤ : ٢١ ، وقال : ... إن احبني أحد يحفظ كلامى
ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً ، الذي لا يحبني لا يحفظ
كلامى ، يو ١٤ : ٢٣ - ٢٤ - وقد حقق بهذا أن الذي يحفظ
وصاياها يصير مسكناً للروح القدس وان الذي لا يحفظ وصاياها
فهو في الحقيقه لا يحبه .

وقد قال السيد المسيح أيضاً : ، كما احبني الآب كذلك
أحببتكم أنا ، اثبتوا في محبتي ، إن حفظتم وصاياى تثبتون في
محبتي كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت محبته
يو ١٥ : ١٩ ، ١٠ ، وقال أيضاً : ، أن تثبت في كلامى فبالحقيقه

تسكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم. يو ٨: ٣٢-٣١-
 والقديس يوحنا الرسول يقول في رسالته الأولى : « وبهذا
 نعرف اننا قد عرفناه ان حفظنا وصاياه ، من قال قد عرفته وهو
 لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا
 قد تكلمت بحبه الله ١ يو ٢ : ٣ - ٥ » .

المعمودية هي بدء التلمذة

ثبت من قول الرب في انجيل متى أن حفظ الوصايا يحتاج
 إلى التلمذة لمعلم يتلمذ الإنسان تلمذة الآداب ويعلمه حفظ الوصايا ،
 ذلك لأن الشيطان يجتذب الإنسان إلى شهوات الجسد ويميل
 قلبه إلى لذاته وينسيه أمجاد الدهر الآتي ويوم الدينونة
 الرهيب المخوف المملوء مجدأ الذي رسمه الرب للجازاة والذي
 سيجازى فيه كل واحد حسب أعماله فدبر للإنسان تدبير
 التلمذة ، بالمعمودية المقدسة ، ذلك أن الطفل المعمد ليست له
 خطية يعترف بها سوى عبودية الشيطان بسبب معصية آدم
 وان اشبهه يعترف عنه بعبودية الشيطان ويعلم انه

يرفض الشيطان وكل أعماله ، ويقبل السيد المسيح وكل نواميسه
 الانجيلية وبعد ذلك يعمد ، وعندما يكبر الطفل ينفذ ما قد عجز
 عنه وقت العماد فيكون كلما أخطأ يسرع إلى السكاهن يعترف له
 بخطاياهم سواء أكانت كبيرة أم صغيرة ويتعلم حياة حفظ الوصايا
 عن طريق معلمه ومرشده - لذلك أمر يسوع تلاميذه قائلاً :
 « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن
 والروح القدس وعلوهم أن يحفظوا جميع ما اوصيتكم به ،
 متى ٢٨ : ١٩ ر ٢٠ » .

المعمودية عتق من عبودية ابليس

الذي بخطيئة ببيع نفسه للشيطان ساعة الخطية كما فعل آدم
 في الفردوس ، ولوقت عملاً الشيطان عقله ويجتذبه إلى كراهية
 الاعمال الصالحة والرغبة في عبادة شهوات الجسد كما قال
 السيد المسيح في انجيل يوحنا : « الحق الحق أقول لكم أن كل
 من يعمل الخطية فهو عبد للخطية والعبد لا يبقى في البيت إلى
 الأبد أما الابن فيبقى إلى الأبد ، فإن حرركم الابن فالحقيقة

تكونون أحراراً . يو ٨ : ٣٤ - ٣٦ ، وحقق هذا ان الذي
يخطئ . يتسلط عليه ابليس الذي هو الخطية ويصير له عبداً . بنفذ
أوامره . واذا ثبت كذلك فليس له ثبوت مع ابن الله في البيت
الى الابد ، لكن اذا جاء الى الابن بلمس العتق بعتقه فيصير
حرراً ، يأتي إلى الابن على يد الكاهن الذي قد أعطاه سر الكهنوت
ليعتق الخطاة من عبودية ابليس ، وعندما يأتيون اليه معترفين
بالخطية للوقت يعترفهم ابن الله ويعينهم على عمل وصاياها . .
لان الخطية اذا غفرت صار الانسان معترفاً من سلطان ابليس لان
ابليس بالخطية يملك الانسان فاذا غفرت الخطية عتق من يملك
ابليس ، وان الابن أعطى الكهننة سلطان مغفرة الخطية بروح
قدسه ، فاذا اعترف للكاهن بخطايا غفرت للوقت بسلطان الكاهن
الممنوح من الله فيصير حرراً ويأكل من شجرة الحياة التي هي
جسد ودم المسيح ، كما يشهد الانجيل المقدس ان الرب قال لتلاميذه:
« كما أرسلني الآب أرسلكم أنا ، ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا
الروح القدس من غفرتكم خطايا غفر له ومن أمسكتكم خطايا
امسكت يو ٢٠ : ٢١ و٢٢ ، فقله انا ارسلكم اي كما ارسلني ابي

اتلذذكم واخلصكم واعلمكم حفظ وصاياي ابي ، فلذلك انا ارسلكم
ايضاً لتتلذذوا بجميع الامم وتمتقوم من عبودية ابليس كما
عتقتكم وتعلمون حفظ جميع ما اوصيتكم به ، ومن تلذذوه
وعمدتموه وغفرتكم خطايا غفرتها انا ايضاً له ، ومن لا تلذذوه
وتغفروا له خطايا فهو مسموك عليه وغير مغفورة ، قوله هذا
حقيق وأوضح أن الاعتراف بالخطية على يد الكاهن هو معمودية
دائمة غافرة للخطايا .

المعمودية لا تتكرر

المعمودية واحدة لا تفرغ أبداً ما دام الانسان حياً كما قد
أرسلنا الروح القدس بتعليم المائة والخمسين المجتمعين بالقسطنطينية
أن تعترف بها كل يوم تائبين تعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا . .
هكذا تعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وترجى قيامة
الأموات وحياة الدهر الآتي ، لان المعترف بخطايا دائماً الحافظ
الوصايا هو المترجى قيامة الأموات وحياة ذلك الدهر لانه لو لم
يرجهاها ويؤمن بها لا يعمل العمل الذي به يصل إليها .
إن كانت المعمودية لا تتكرر فكيف نخاض إذا أخطأنا ؟

التوبة تجديد المعمودية

لما كان ابليس لا يفتر عن خداع الإنسان وجب أن يسكون الإنسان معلم دائم - هو الكاهن أب الاعتراف - يعترف له بكل خطية لكي يصير حراً منها... كما يوضح القديس يوحنا ذهبي الفم في تفسير رسالة رومية قول الرسول: «... تغفروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم فتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية» روم ١٢: ٢، أى لا تياس ولا تبقى مطروحاً بل امض أيضاً ووجد نفسك بالتوبة والدموع والاعتراف بخطاياك.

لقد أمرنا الله ان نلزم حفظ قلوبنا من كل فكر الخطية الذي يذره ابليس في قلوبنا، أمرنا أن نكون دائماً مستيقظين ناظرين الى قلوبنا، فحق رأينا فكر خطية قد يذره فينا ابليس دفعا بعيداً عنا بالصلاة والتضرع الى الرب ولا نمسك القلب من أن يتلذذ بذلك الفسك أو - بترديه.. وإذا رأينا أن ذلك الفسك لا يطرد عنا أسرعنا بكشفه لاب الاعتراف واشهاره بين يديه فنستريح منه، من أجل هذا يلزمنا أن ننقى أفكارنا من البداية ولا يمكننا تنقيتها

إلا بالاعتراف لمن نستحي منه ونفتضح بين يديه عندما نعترف له بها فنتعلم الانضاع الذي قال عنه القديس الانبا يحنس انه باب افة ومنه يدخل الآباء إلى المسكوت.

أما الذي يخطئ - بعد المعمودية ولا يتوب ويعترف فهذا يلقى في الدينونة في الجحيم إلى الأبد لأن من يموت وهو خاطئ - لا يقدر على التوبة كما يقول دواود النبي من الذي يعترف لك يارب في الجحيم؟ فليس بعد الموت توبة ولا اعتراف ولا خلاص بل خلود في الجحيم إلى الأبد لمن مات وهو خاطئ.

وقد قال القديس مار اسحق السرياني: «المعمودية هي الولادة الأولى من افة والتوبة هي الولادة الثانية كذلك... التوبة باب الرحمة المفتوح للذين يريدونه، وبغير هذا الباب لا يدخل أحد إلى الحياة لأن السكل أخطأوا كما قال الرسول، وبالنعمة تبرر بجاناً، فالتوبة إذن هي النعمة الثانية وهي تتولد في القلب من الإيمان والخافة»

من لا يحفظ وصايا المسيح فقد انكر الإيمان

ذكر في الإستان أن القديس مكاريوس الكبير قال هكذا، أن

الذي يعرف الله ولا يعمل مشيئته هو أشرف من الكفار لكونه
جسد الذي عرفه ، كما قال الرب أيضاً في فصل العشر عذارى
أنه يقول للجاهلات اني ما اعرفكن ، فقد جسد معرفهن مع
كونهن عذارى مؤمنات متعبدات له لما لم بكلوا ما وجب عليهن
من حفظ وصاياه وجعلهن جاحدات - وقد أعلننا بهذا ان
الذي يقصر فيما يجب عليه من حفظ الوصايا هو له جاحد ،
والذي لا يقبل كلامه فهو جاحد أيضاً كقوله ، الذي يتحدثني
ولا يقبل كلامي له من يدينه .

والقديس كيرلس الكبير يشبه ذلك الإنسان بهـسودا
الاسخريوطى حيث أوضح ان الذي ليس عليه ثياب العرس
هو بهودا الاسخريوطى - وكل الذين يلبسون ثياب النصرانية
ولا يعملون الأعمال الصالحة ، اولئك تربط ايديهم وارجلهم
ويلتقون في الظلمة البرائية حيث البكاء وصريير الاستنان . وقد
أوضح القديس بولس الرسول ذلك صراحة حيث قال ، من
لا يمتني بخالصته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن
١٠ تيموثاوس ٥ : ٤٨ .

من لا يحفظ وصايا المسيح لا يستحق النظر إليه

القديس الكليمنطس يفسر قول الرب عن الامانة به وحفظ
وصاياه في انجيل يوحنا فيقول . ان نظر الله هو الطهارة الحقيقية ،
واين النظر إلى يسوع بالجسد هو نظر الله لأن كثيرين من
اليهود القليل الامانة قد نظروه جسدياً ولم يؤمنوا به ولم يصنعوا
وصاياه ، بل الذي يلزم نفسه حفظ وصاياه قد استحق النظر
الى الله بالحقيقة .

وبمثل هذا يشهد القديس باخوميوس حين سأله تلميذه
تادرس : ماذا نصنع حتى ننظر الله ، قال له بالحقيقة إن أردت
ان تراه فاجتهد قدر قوتك في عمل جميع الاوامر المكتوبة
في الانجيل وذلك أنه يقول ، طوبى لانقياء القلب لأنهم يعاينون
الله ، فاذا ورد الى قلبك ضمير نجس أو بغضاء أو فسكر شرير
أو احتقار لأخيك أو مجد فارغ . . . نذكر في هذه الساعه فائلا
اذا اناسرت هذه الافكار ان أراقه ، فتخف عنك الأفكار
ولا تقوى عليك .

إذن قد تحقق بما سبق ان من لا يحفظ وصايا المسيح ليس
هو مؤمناً ولا عارفاً بالله ولا يستحق النظر إليه .

الفصل الثاني

الاعتراف هو الاتضاع

يشهد جميع الآباء ان الاعتراف هو الاتضاع ويحقق ذلك القديس كاسميان (١) في الميمر الذي وضعه على الافراز (التمييز الروحيات) حيث يقول أنه بغير افراز لا يمكن لاحد الخلاص، وسأله سائل عن الافراز الحقيقي فقال هو أن نكتشف للآباء أفكارنا وأعمالنا، ولا نثق البتة بأعمالنا ولا برأينا، لكن في كل شيء من أعمالنا وتدابيرنا نستشير الشيوخ ونعمل برأيهم ما يشيرون به علينا ان كان ما يترامى لنا جيداً أو رديئاً، حيثئذ نسلم من جميع مكائد العدو وحيله (٢) . (٣) من الممكن أن نستشير أحد المرشدين الروحيين عن ثقتهم على جانب كبير من الخبرة الروحية وذلك الى جانب أب الاعتراف، وقال في ذلك الأنبا أشعيا: لا تكشف أسرارك لكل احد لثلاث أسباب عشرة اقربيك، اكشف أفكارك لآبائك الشيوخ لتجد معونة

(١) راجع سيرته في كتابنا (تعالم النفس دانيال)

إن من يتقدم ليسير بمرضاة الله، عليه أولاً أن يظهر نيته فإن النية تركها الرب في جميع الناس، كذا المشيئة الخيرة والافراز الحسن والمعرفة لأن فعل الروح القدس يبكت الإنسان على الخطية ويحثه على التوبة، أما من لا يطيع ارشاد الروح القدس ويقاومه فإنه يستمر في خطيئته وتبقى خطيئته بلا مغفرة ويخلد في العقاب إلى الأبد، ولا نكون له بعد رحمة لأن الرحمة لا تكون أبداً إلا بحفظ وصايا المسيح، وان وصايا المسيح لا يمكن حفظها إلا بمعلم يؤدب ذلك التلميذ كالطفل مع المعلم لا يكتفم عنه شيئاً - لا من أفعاله ولا من أفكاره - ويتدبر برأى معلمه في الله، فن صار مثل الصبي واتضع اتضاعه بنال ملكوت السموات، كما يقول الرب في الانجيل المقدس: ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات، ومن اتضع مثل هذا الصبي فهو العظيم في ملكوت السموات، وقد حقق الآباء معلو الكنيسة ان الاعتراف والتلذذ هما الاتضاع والصبره التي قال عنها ربنا يسوع المسيح .

بمشورتهم ، ، وقال أيضاً ... لا تنظر الى كبر السن بل اعتمد
على من له علم وعمل وتجربة ومعرفة روحانية لتلا يزبدك سقما
بدلا من أن يهيك شفاء .

قال أحد الشيوخ : ، ان الافراز الحقيقي لا يكون إلا من
الانضاع والانضاع هو أن نكشف لأب الاعتراف أفسارنا
وأعمالنا ، ولا نتق برأينا بل نستشير الشيوخ المحربين الذين نالوا
نعمه الافراز ، ونعمل بكل ما يشيرون به علينا ، فالذي يكشف
أفكاره الرديئة لأبائه فانها تخف عنه ، وكما أن الحية اذا خرجت
من موضع مظلم إلى ضوء تهرب بسرعة كذلك الافكار الرديئة إذا
كشفت تبطل من أجل فضيلة الانضاع ، وإذا كانت الصناعات التي
نصبرها بعيوننا ونسمعها بأذاننا ونعملها بأيدينا لا نقدر أن
نمارسها بذواتنا إن لم تتعلمها أولا من معلمها - أفليست اذن جهالة
وحماقة من يريد ان يمارس الصناعة الروحية الغير المرئية بغير معلم؟
مع العلم بأنها أكثر خفاء من جميع الصنائع والخطأ فيها أعظم
خسارة من كل ما عداها

وقال الآب اوغريوس Evagrius ، لا تنسى انك اخطأت
ولو نبت بل اجعل النوح وتذكرك الخطيئة اتضاعاً لك لكي
بالانضاع تتقى الكبرياء . .

وقال القديس مكاروريوس الكبير . كما ان الماء اذا ساء على النار
يطفئها ويفسد كل ما اكاته ، كذلك ايضا التوبة التي وهبنا الله
يسوع نغسل جميع الخطايا والأوجاع والشهوات التي للنفس
والجسد معاً . ، وكان القديس أرسينيوس مثالا للانضاع ، لذلك
كان دواماً يكشف أفكاره ، وقد ذكر عنه أنه كان يسأل أحد
الشيوخ المصريين عن أفكاره فرآه شيخ آخر وقال له يا أبا
أرسينيوس كيف وأنت المتأدب بالرومية واليونانية تحتاج الى
ان تسأل هذا المصري الأعمى عن أفكارك؟ أجابه أنبا أرسينيوس
قائلاً . « أما الادب الرومي واليوناني فيأتي عارفاً بهما جيداً -
أما الفاطيطة التي قد أحسها هذا المصري فيأتي الى الآن لم اتعلمها -
وكان يقصد طريق الفضيلة .

كما ذكر عنه أنه كان يكشف أفكاره لمرشده الروحي وكان
يكتبها في حال جلوسه في القلاية ليكشفها قبل تناول .

لا ينفي لأحد أن يصنع شيئاً برأى نفسه دون مشورة معلم لأن
كثيرين أرادوا أن يعملوا أعمالاً مرضية لله ولم يتواضعوا ولم
يستشيروا فضلوا عن الطريق الصحيح إن من يسفح في عمل البر
ولا يعمل إلا بمشورة هو المتضع ، ومن يفعل ذلك بغير مشورة
فهر حنال ومتكبر ، وهذا نعلم ونتحقق ان الاعتراف هو الاتضاع
الحنيفي كما ذكرنا ، وبغير اتضاع حقيقي لا يمكن خلاص ، كما يقول
القديس انطونيوس ، ان رأيت نفاخ الشيطان منصوبه على الارض
فبنت وقلت من الذي يخلص من هذه كلها ، ١٤ فسمعت صوتاً
يقول ، الاتضاع هو الذي يخلص من هذه كلها ، قال قديس انطونيوس
وحائر الآباء متفقون على أن التلذذ والمشورة والاعتراف ضرورية
للخلاص وأمان سيرتي عبادة الله برأى نفسه وحده دون مشورة
معلم فلا تثبت له عاداته كما ابتدأها .

ويقول أحد الآباء : الذي يصنع أعمالاً بغير مشورة فإن
الشياطين يرفعونه بالأكثر ، وهكذا يسفحونه إلى أسفل سريعاً
فالذي يقوم بما يفوق قدرته يقتل جسده وحينئذ ينكسر كالقوس
زاده توتره أكثر من اللازم .

ورد في سيرة القديس أنبا موسى الأسود أنه كان يتزايد جداً
في نسك وفي جهاده - لكن رغم ذلك كانت المحاربات تزداد
وقد نهم مرشده القديس الأنبا إيسيدورس أن يعتدل في كل شيء
حتى في أعمال الحياة النسكية ، وعلمه الانسحاق والمداومة على
الاتضاع وان يعتمد على رحمة الله ويتقدم للتناول ولما فعل ذلك
خف عنه القتال .

ان كثيرين يندفعون في طريق اذلال الجسد دون افراز
ودون سماع نصائح المرشد منساقين في هذا التيار فيسقطون في
تعبيرات وفخ ابليس .

ويذكر البستان قصصاً كثيرة محزنة عن رهبان تركوا آباءهم
في الرب قائلين ، اننا نتوحد ونصوم ونهرب من الناس ، فاندعوا
بذلك من الشيطان ولم يصنعوا لا وحدة ولا صوما ولا هروباً من
الناس بل تنقلوا بين الأدبرة والمدن والقرى وفرح بهم الشيطان
وهذا بهم لانهم قبلوا خداعه وعملوا مشيئته الخاصة .

ويشهد كتاب الفردوس ان واحداً - سأل أنبا نادرس ما هو
القول الذي قيل في امثال سليمان الحكيم ان الذين لهم مدبرون

يسقطون مثل الورق والخلاص هو بالمشورة الكثيرة ؟ فأجاب
الشيخ القديس وقال: ان الورق، ابتداءه حسن وأخضر وبعد ذلك
يبس ويقع ، كذلك الذى ليس له مدبر يستشير فيانهق بدء سيرته
يكون له حرارة فى الصوم والصلاة والسهر والسكون ثم بعد ذلك
يبتدى قليلا يبرد تلك الحرارة فيقع مثل الورق ، وما أشبهه
فى ذلك بشجرة مورقة وأثمارها مخصبة هزتها ريح شديدة فسقطت
بغته وتعرت من اوراقها وأثمارها وبقيت باسنة ، وهذا ما يلحق
بمن يتدبر برأى نفسه ولا يسمع مشورة الحكماء ...

وقوله : « إن الخلاص بـمشورة كثيرة ، بمعنى أن يكون لكل
إنسان الأب الروحى وهو الكاهن الذى يثق به ويستشير به فى جميع
أموره ولا يسكرته شيئاً من خطاياهم وأوجاعه لأن الانسان إذا لم
يظهر أموره كلها ويكشفها ربما وجد فيه الشيطان خطية واحدة
مكتومة فيه فيطرحه بها ... وقد لا يظن ذلك الانسان ان هذا
العمل خلية - لكن إذا كشف الانسان امراه كلها وعمل بما
أشير به عليه فلا يقوى عليه الشيطان فى شيء أصلاً .

ويقول أحد الآباء فى ذلك: ولست اعرف الإنسان سقطة إلا

إذا صنع هواه ، فإذا ابصرت واحداً وقع فأعلم أنه انما وقع
لأنه كان يقنع برأى نفسه .

وجاء فى كتاب البستان أن أخا سأل أنبا بيسيرس ماذا
أصنع ؟ ان نفسى ليس لها دموح ولا نهدي ولا تخاف الله ؟
فقال له الشيخ : اذهب واجلس مع انسان يخاف الله فهو
يعلمك خوف الله .

والقديس برصنوفوس هو أيضاً يقول : « الذى يريد أن
يعرف الطريق اذا لم يسر مع من يرشده فى الطريق من أوله الى
آخره فلن يبلغ البتة الى المدينة ، فترك هواك خلفك واخضع
فى كل شيء وانت تخلص .

وقد حقق بهذا ان التلذذ والطاعة والمشورة هى الاتضاع الحقيقى .
وفى موضع آخر يقول فى المشورة : « اصنع كل شيء بـمشورة

(١) الأوجاع غير الخطايا فالخطايا هى عمل الأوجاع بالفعل ،
والأوجاع هى أسباب الخطايا فقد يوجد انسان فيه الأوجاع كالغضب
الضار وشهوة الشر ولا يستعملها (ص ١١٠ البستان الجزء الثانى) .

وبلا مشورة لاتصنع شيئاً ، لأنه لا يوجد من لاجتياج إلى المشورة
إلا الله وحده الذى خلق الحكمة .

قالذى يظن انه فى غنى عن المشورة فقد شبه نفسه باقه خالق
الحكمة ، وهذه هى الكبرياء التى سقط بها آدم من الحياة وخرج
من الفردوس لسكونه أراد التشبه باقه فى معرفة الخير والشر .

كذلك من يظن انه يعرف الجسد من الردى . ولا يحتاج
إلى مشورة غيره فقد تكبر تلك الكبرياء عينها .

ان كتب الله تملنا ان العدو الشرير له استطاعة ان يحسن
للإنسان ما ليس هو حسن ويجعله يظن انه حسن ويقبح عنده ما
ليس يقبح ويجعله يظن انه قبيح ، ومن اجل هذا وجب على كل
واحد منا ان لا يثق برأيه فيما يراه انه حسن او قبيح بل فى كل شىء
يستشير أب اعترافه الذى قد اتخذه له فى الرب وبؤمن أن كل كلمة
يسمعها من فه ليست من فم المخلوق . . بل من فم الله الخالق
الحكيم اذا قبلها بالإيمان بالذى وعدنا انه سيكون معنا جميع
الايام اذا كنا نتعلمن بعلمنا حفظ وصاياه لأنه هكذا قاله تلدوم
وعلوم حفظ جميع ما اوصيتكم به وهأنذا معكم جميع الايام والى
انقضاء الدهر . .

وواضح انه لا يكفى الاعتراف بالخطية وبالضيقات للأب
السكان دون طاعة إرشاده ولو كان مخالفاً لهوى قلوبنا ، ويجب
بالأكثر ان نظيع ونتضع لثلاثا نسقط فإن الشياطين بالمعظمة
والمعصية سقطوا وهامكوا .

ونورد هنا الخبر الآتى عن الطاعة :

قيل ان أحد الشيوخ أبصر اربع مراتب مرتفعة الى السماء .

الأولى - مريض صابر شاكر لله

الثانية - صحيح بضيف الغرباء وينبج الضعفاء

الثالثة - منفرد فى البرية مجتهد

الرابعة - تليذ ملازم لطاعة أبيه من أجل الله ، ووجد أن
مرتبة التليذ أسمى من المراتب الثلاثة الأخرى - وزعم أنه سأل
الذى أراه ذلك قائلاً : كيف صار هذا هكذا وهو أصغرهم
فأصبح أكبرهم مرتبة ؟ فقال : ان كل واحد منهم يعمل الخير
بواه أما هذا فقد قطع هواه لله واطاع فعله والطاعة لاجل الله
أفضل الفضائل ،

الفصل الثالث

الاعتراف يخلص من العادات الشريرة

كان القديس الانبا سراييون يقول مراراً كثيرة للذين كانوا يأنون إليه ، ولما كنت تلميذاً في الرهبنة كنت أخفى بعض المأكول وآكله سرا من أبي ، فلما فعلت ذلك مدة من الزمان صرت مغلوباً لا أستطيع ان اغتلي عن هذه العادة وكان ضميري يوبخني وكنت استحي ان أخبر الشيخ ، فتدبير من الله الرجوم جاء اخوة الى الشيخ اطالب منفعة للنفس وسألوه من أجل أفكارهم - فأجاب الشيخ وقال لا يوجد أمر يفرح به الشيطان أكثر من أن نخفي أفكارنا عن آباءنا الروحانيين ، ثم كلمهم أيضاً من أجل الصوم ، فلما سمعت كلامه حزنت على ذاتي وندمت على سماحة فملي واخذني تخضع وصرت اهكي على نفسي وظننت ان الله قد أظهر للشيخ زلتى ، فأخرجت ذلك الشيء الذى كنت أخفيه ، وطرحته نفسى على الأرض وصرت أطلب منه المغفرة عما سبق من زلاتي وسألته الصلاة على ، حينئذ قال لي الشيخ : يا بني من غير ما أصلي

لك قد عتقك اقرارك وصرت حراً . . وقد ذمحت الآن الشيطان الذى كان يستعبدك لما أعطيته السلطان عليك بسوء رأبك واخذاعك له . . لسكنه من الآن لن يجد فيك موضعاً لمسرتة اذ قد أقصيته عنك باقرارك . فع كلام الشيخ خرج فعمل العدو عنى كمثل لهيب نار . وامتلا البيت رائحة منتنة ، فقال لي الشيخ : ه هوذا بهذه العلامة التي ظهرت قد حقق الله كلامي وعتقك ، وهكذا يا قراري عتقتك من قتال الحنجرة (كثرة الاكل) .

تبين مما سبق ان الذى يستحي أن يقر بسوء رأبه وفعله وفكره يصير عبداً لإبليس مقهوراً منه لفعل الخطية . وأنه إذا اقر بها فلنساغته يمتق منها ، واتضح اذن ان الاعتراف يمتق الانسان من قبح الخطية ، وهذا ما ذكره السيد المسيح ان الابن إذا عتقكم صرتم احراراً .

فإذ قد انضح ان الاعتراف هو عتق الابن الذى به يمتق من قد استعبد نفسه للشيطان بالخطية فلا تشك بعد الآن في الاعتراف وابقن بكل يقينك أنه هو المعمودية الممتقة من كل الخطايا والمحرة من عبودية ابليس .

علنا من قول أنبا سراييون أننا لن نقاتل والافرازه الحقيقى إذا
لم نقبل رأى الآباء وتعليمهم ، وعلنا أيضاً أن الشيطان لا يقدر أن
يسقط الإنسان في شباكه إذا لم يقنعه قبل كل شيء أن يرفض آلام
الآباء وإرشاداتهم ويقنع برأى نفسه ويتدبر بهواه الشخصى .

الفصل الرابع

الاعتراف بفضح حيل الشيطان فيهرب

ورد في كتاب البستان خبر بقوله فيه ، وأخروا عن بعض الإخوة أنه
تأذى من قتال شيطان التجديف وإنكار الخالق فضى الى أنبا ييمين
ليكشف له أفكاره ، ولما وصل إليه انصرف ولم يقل شيئاً ثم نظر
وإذا قتال الشيطان له بهذا الفكر قد زاد فعاد الى الشيخ ليخبره
واستحى أن يكشف له أمره فانصرف ثانية ولم يقل له شيئاً وفعل
هذا سرراً كثيرة ، وكان الحيام يحمله على كتمان أفكاره ، فعلم الشيخ
ان الأخ عليه قتال من أفكاره وأنه يستحى أن يكشفها له ، ولما
جاءه ولم يقل له شيئاً كالعادة قال له أنبا ييمين ما بك ايها الاخ

نحىء الى وتنصرف ولا تقل لى شيئاً ، قال له الاخ : ما الذى
يمكننى أن أقوله لك ايها الأب ، فقال له الشيخ ، كأنى اراك
مقاتلاً من أفكارك ولا تريد أن تكشفها لى لانك تخشى ان اخبر
بها غيرى ، وحقاً أقول لك أنه كما ان الحماط لا يتكلم كذلك أنا
ما اكشف لاحد أمرى ، فوثق الاخ بهذا القول وقال للشيخ :
و انى فى شدة وأخشى أن اهلك من التجديف فإن الشيطان يضيق
على الحناق ويريد أن يوقنى بأنه ليس إله ، وهذا فكر لا يسوغ
لاحد أن يتحدث عنه ولا يقره أحد ولا يفكر فيه ، فقال له
الشيخ ، لا يفهمك هذا الفكر يابنى لأن القتالات الجسدانية إنما
تقوى علينا من توانينا واسترخائنا ، فأما هذا الفكر فلا يأتي
من توان ولا من استرخاء لكن لمقاومة العدو لنا وحيله ، ففى
خطر لك هذا الفكر فقم من ساعتك وصل وارشم نفسك بالصليب
وقل فى نفسك كأنك تخاطب الشيطان : ملعون أنت وملعون
أفكارك وملعون تجديفك ، هذا الفكر يسكون على رأسك ايها
الشيطان ، فأما أنا فأقر واؤمن ان الله كائن وهو الممتق بالحليقة
كلها وهذا الفكر ليس هو منى بل منك يا عدو البشر - فإذا أنت
فعلت هذا فثق ان الله يرفع عنك هذا الحزن ، فانصرف الاخ من

وفاصرف الأخ من عند الشيخ وعمل مثل ما عليه ، فلما رأى
الشیطان أنه قد هزمه بتعليم الشيخ له انصرف عنه وعادت نعمه
الله إليه .

وفي البستان أيضاً خبر آخر ان راهباً كان حريصاً فتأذى
من شیطان التجديف سنين طويلة وأجهد نفسه بالصوم والسهر
ولم يجد منفعة البتة ، حينئذ أخذ قرطاساً وكتب هذا الوجد
وانطلق إلى أبيه ودفع إليه القرطاس ووقع على وجهه قدام
الشيخ ولم يكن يستطيع ان يرفع نظره إليه ، فلما قرأ الشيخ
الكتاب ابتم وأقام الأخ وقال له على عنقني يا ابني هذه الحطية
وكل ما كان منها لا تسكرت به ، ومن أجل هذا حقق الأخ أنه
قبل أن يخرج من قلابه ذلك الشيخ ارتفع منه القتال .

وذكر القديس برصونوفوس في الغلبة على الشيطان والاتضاع
قائلاً : « ان نحن اتضعنا فإن الرب يطرد عنا الشيطان ، لذلك يجب
هلبنا ان نلوم أنفسنا في كل حين وفي كل أمر لأن هذه هي الغلبة .

وقال أحد الشيوخ : « ان الشياطين يخفون شرهم وراهم ونورهم
آخره ظلام فلا تعمل شيئاً بدون مشورة الآباء العارفين بمقاتلهم .

ذكر البستان أيضاً أن أحامن الرهبان قوتل بالزنى فقام بالليل
وذهب إلى الشيخ وكشف له سره وصأله أن يصل من أجله فمزاه
الشيخ وشجوه ولما رجع الأخ إلى قلابته اشتد عليه القتال فرجع
ثانية إلى الشيخ وفعل ذلك مراراً وكان الشيخ في كل مرة لا يجزئه
ولسكنه كان يكلمه بما فيه منفعة نفسه قائلاً له : كلما قاتلك هذا الشيطان
تعدل واكشف أمره فإنه ليس شيء يبعد شيطان الزنى مثل اظهار
أفكاره وأعماله وفضيحتة ، وليس شيء يفرحه غير كتمان ذلك ،
فتردد ذلك الأخ على الشيخ في تلك الليلة إحدى عشرة مرة وهو
يكشف له أفكاره وأخيراً قال : « قل لي يا أبي كلمة ، فقال له
الشيخ : « ثق يا ابني لو ان الله سمح ان يقع فكري وقتالي عليك
لما احتملت ولسكنت سقطت بالأكثر إلى أسفل ، فلما قال الشيخ
هذا الكلام بانضاع كعب الله القتال عن الأخ .

هذه الاخبار من البستان يظهر منها ان الفسك لا يتفق لا بصوم
ولا بصلاة ولا بسم ولا بكل تعب الجسد ولا يتفق القلب بشيء إلا
بالاعتراف ، لأن الاعتراف - وهو الاتضاع - يزيل كل ذلك ، لأن
المتترف اتضاعاً يتضع وباتضاعه يهرب منه الشيطان كما يقول داود
في المزمور : « باتضاعنا ذكرنا الرب وخلصنا من أيدي أعدائنا .

الفصل الخامس الاعتراف يخلص من الحزن

ذكر عن القديس ذوروثيوس انه سأل مرة الشيخ أنبا يوحنا تلميذ أنبا برصنوفوس وقال له : ان السكتاب يقول انه باحزان كثيرة ينبغي أن ندخل الى ملكوت السموات وما أنا أرى انه ليس لي شيء من الحزن ، فإذا ينبغي لي أن أعمل لثلاثك نفسي فإنه ليس لي حزن ولا هم ، وإذا كان ينبغي فكر كنت أخذ لوحاً وأكتبه وأعلم الشيخ به ، فمن قبل أن يفرغ الشيخ من قراءته كنت أحس بالمنفعة ، وبمثل هذا كان لي عدم الاهتمام والراحة والسلام ، وما كنت اعرف كيف تخفف عنى الهموم والأفكار هكذا ، ولما كنت اسمع انه باحزان كثيرة ينبغي لنا أن ندخل ملكوت السموات كنت أفرح من أجل أنه ليس لي حزن ، فلما كشفت الشيخ بهذا الأمر اعلني هكذا قائلاً ، لا تحزن شيء لأن كل من سلم نفسه لطاعة معلمه والآباء فثقل هذا التياح وعدم الاهتمام يكون له بالرب .

وقال أحد الآباء :

ان الذي يقر بفكره الشرير يزيله منه الرب لوقته ، ومن أجل هذه الفائدة أمر ربنا تلاميذه أن يكونوا للناس معلمين كما كان هو لهم المعلم الذي جاء إلى العالم ، الذي حفظ تلاميذه من الشرير وكان اذا بذر الشيطان في قلب أحدهم فكراً رديئاً كان من ساعته يبيكنهم عليه حتى يعترفوا له ، ويزيله من قلوبهم بتعليمه ، كما فعل معهم حين تفكروا في قلوبهم من هو العظيم فيهم ، وحين تفكروا في السقيته انه ليس معهم خبز . . .

قال القديس مار اسحق :

المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه حين كذلك الذي يقر بأوجاعه فهو قريب من البره أما القلب الفاسي قد كثرت أوجاعه والمريض الذي يخالف الطبيب يزيد عذابه .

وذكر البهتان القصة التالية :

وقع أخ في بليته ومع الحزن أنلف عمل رهبانية (١) ، واذ أراد أن يبدأ بالعمل كان يستثقل ذلك ويقول : متى ابلغ الى (١) عمل الراهب طبقاً للقوانين السكزية ينحصر في الصوم والصلاة والقراءة في السكتاب المقدس وفي سير القديسين مع العمل اليدوي

ما كنت فيه ، وكان يضجر وتصفر نفسه فلا يقدر أن يبدأ بعمل
 الرهينة مرة أخرى وأخيراً ذهب إلى أحد الشيوخ . قص عليه أمره ،
 فلما رأى الشيخ حزنه ضرب مثلاً قائلاً له : كان إنسان له بقيق (١)
 ومن توانيبه امتلاً ذلك البقيق شوكا وأنه بعد ذلك انبته له وأراد أن
 ينقى ذلك البقيق من الشوك ، فقال لابنه يا بني اذهب إلى البقيق
 واقطع شوكة فلما ذهب ابنه وابصر كثرة الشوك ستم ومل ونام ،
 وبعد أيام كثيرة أتاه أبوه لينظر ما عمل الغلام ، فلما رآه لم يعمل
 شيئاً قال : وحتى الآن لم تنق شيئاً ؟ فقال له الغلام اخبرك الحقيقة
 يا أبتاه ، كلما عذمت على البدء في العمل أبصر كثرة الشوك فأحزن ،
 ومن كثرة الحزن كنت أشعر بالآسى فأنام فقال أبوه : لا يكون
 الأمر هكذا يا ابني ، ولكن انق كل يوم قدر مفرشك فقط قليلاً
 قليلاً ففعل الغلام كما أمره أبوه وداوم على ذلك حتى فرغ الشوك
 من ذلك البقيق وأنت كذلك يا حبيبي أبدأ بالعمل شيئاً فشيئاً
 ولا تضجر واقه بطيبيه ونعمته يردك إلى سيرتك الأولى ، فذهب
 ذلك الأخ وعمل وصبر كما علمه الشيخ فوجد نياحاً وأفلح .

(١) قطعة أرض .